

(٢)

أوراق في النقد

(الشعر والحياة)

راتب سكر:

قصيدة «ملاءة الحرير» نهوض بالمعنى والدلالة

• المدخل

الشاعر راتب سكر مسكون بحب الوطن.. عاشق للإنسان، فهو يمتلك رهافة حس عالية أهله لكي يبدع قصيدة لها نكهتها الخاصة، وأعطته فسحةً ليعمل على صياغة شعر يعنى بالسمات الجوهرية، ويوغل في تأمل المصير الإنساني، وينتظرُ الحلم الذي يسعى وراءه.
بين يدي قصيدة عنوانها «ملاءة الحرير»^(١) سأحاول مقاربتها من خلال معطياتها:

• معانٍ ودلالات

يلج الشاعر الحدث في القصيدة، وهو ينعم النظر في الزمان والمكان واللون معتمداً الإيجاز لفة والإثارة أسلوباً؛ ليفتح شهية القارئ على استبطان احتمالات النفس وفضاءات الأفكار:

مأذن من بياض شاهق

مسحت جيبيني

في عطايات المسير

ويربط بين ذكرياته وحاضره للإشارة على القصيدة التي هدف إليها فيوقد شموع الأمل، وهو يعيش حاضره، فأمه بملاءة الحرير تشكل

(١) ملاءة الحرير قصيدة وردت في مجموعة الشاعر الدكتور راتب سكر الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب عام (٢٠٠٠م) والتي عنونت بعنوان القصيدة.. هذا وقد نشرت القصيدة في المجموعة بين الصفحات ٢٢-٢٥.

بعداً عاطفياً، وتضفي جواً رحباً للحوار والحنان.. إنه الطفل الذي لا
يمكن أن يمسخ من ذاكرته ذكريات فياضة بالوفاء مهما تصحرت نفسه،
لأن طهر الأم لا يعدله شيء، ولأن عطاءاتها فوق كل عذاب:

أهذي أنت يا أمي؟

عرفتك من ملائتك الحرير

مددتُ إلى الخوابي

طاسةً من فضة

بللت يابستي وأحلامي

وأيقظت الطفولة هي دمي

وفي المقطع الثاني من القصيدة يتوجه نحو أبيه، ذلك العامل المتفاني
الذي يصر على معرفة ما يدور حوله: ليلتذ بطعم الحياة:

هذا أبي

بقبار مهنته يعابثي

ويسمع نشرة الأخبار

تقتته الأمانى

أما الشاعر فهو الطفل المدلل الذي يلهو بالألعاب، ويخفيها في صندوق
خاص بها يفترش الظلام الشاحب تحت السرير، لكنه مليء بالأسرار
والألعاب..

وسرعان ما يعود الشاعر إلى حياته الواقعية، ليعكس مشاعره تجاه
عذابات الحياة، وأحلامه المنداحة، والتي نال منها السفر والرحيل،
فأطفاً بهاءها، وغلفها بقيد الشقاء والرحيل من مدينة إلى أخرى، ومن
تسرقه إلى أشد منها فإذا الوطن الكبير يعاني والربيع مشئت الأدواح
والأكام.

شراعي ناحب في الريح

عذبه الفراق

فباح للأمواج بالأسرار
تحمله مشردة تفاصيلي

إلى مدن

تنامت في قبائلها

لكل قبيلة علم

يرفرق في مضاربيها

ولم يكن أمام الشاعر سوى البحث عن الأصحاب والأهل والخلان..
إنه نداء الوفاء بعد معاناة مستمرة ورحيل اضطراري من أجل
الأفضل..

إلا أن ظلال الخوف تظل تسبغ هيمنتها على الشاعر فالمجهول لا
يدرك سره أحد.. كيف يلملم الشاعر أمنياته والمصاعب شتى؟ ها هي
بيروت تصر على ربطه بأهدابها، لكن هيهات أن يتحقق ذلك طالما لم
يقرر الاستقرار بعد، فيكتفي بمنحها مشاعر الصدق والعشق:

في بحر بيروت التي أحببتها

قالت تمود إلي يوماً يا فتى

فأجبتها متلعثماً بدموعها

والعتم يشرب من كلامي

نخبه الصافي الأخير

ويتابع الشاعر مسيرته في الحياة مهندساً فتاديله على نشيد المساء
وأنين جوقة المعذبين، بينما الدروب تشرع اتجاهاتها له، فيمتطي عصا
ترحاله راضياً مذعناً.. وتتداخل المشاعر، وتمتزج الرؤية بالماديات،
وتتماهى الأزمنة والأمكنة بالماضوية والواقعية وبالمقابل يزداد السؤال،
ويعمق الحوار.. هذا هو سرب الطيور يلوح من أجل تفاصيل باسمه..
ومن أجل حياة أفضل

كيف العبورُ إلى التفاصيل الجميلة؟

تقرشُ الضحكات

في مرج نضير

تلممُ من درويي حزنها

وتعيد أشرعتي مهللة

وحاوية على قلبي الكسير

لكن الإصرار من أجل المستقبل يظل قوتًا، ولا يمكن لأي عائق صد
نشيده، ولا يمكن للرياح إخفاء صوته، وكيف يحدث ذلك وملاءة الحرير
تعدُّ بالأمل والنقاء والخوابي مليئة بالعطاء والصناديق ماطرة بالخير.

فاين ملاءة الأم التي ضيعتها؟

أين الخوابي؟

نشرة الأخبار

العابي

وصندوقي الصغير؟

* البنية الفنية

اتجه الشاعر في القصيدة (ملاءة الحرير) إلى ربط مشاعره
الوجدانية الذاتية بمشاعره الوطنية والقومية محاولاً أن يصوغ تداخلا
وتشابكاً يبنى عن خبرة عميقة في تناول الموضوع، فجسد القصيدة
مطرزة بمشاعر الأنا والنحن، وقد يحار القارئ في تحديد موقف
الشاعر: هل يتحدث في هذه القصيدة عن عطاءات أمه وكدح أبيه؟ أو
عن سيرته الذاتية؟ أو عن وطنه وأمته؟.. هذه التداخلات أضفت على
القصيدة جمالا خاصا كونه القارئ يظل دائم البحث عن مفاتيح
القصيدة، وعما يهدف إليه الشاعر.

صحيح أن قصيدة ملاءة الحرير فيها دلالة أنثوية واضحة، فهي ترمز إلى
الأم، وتشيع أكثر من وازع وأكثر من معنى، وتحوم في ميادين متعددة ومتنوعة.

إن انطلاق الشاعر من البساطة يعني أنه يصر على الجماهيرية، كما يصر على البقاء في فلك الشفافية دون تفریط في الفن والإبداع.

شراعي ناحبٌ في الريح

عذبه الفراق

فباح للأموج بالأسرار

تحمله مشردة تقاصيلي

فالشاعر مسكون بنيش إنسانية الإنسان، وعاشق للإخلاص، ولهذا يجدُّ في أن يراكم الدلالة عبر اللفظة، ويطلق الأفكار عبر مداراته الشعرية، ليضوع هاجسه المصيري، ويبرز انحيازه الواضح للحلم.

اللافت في هذه القصيدة قدرتها على التأثير بسبب إخلاص الشاعر لإبداعه وامتلاكه فنيات متعددة ومتنوعة تتوضع في ثنايا القصيدة، وبواباتها المشرعة على الديناميكية والحياة. فضلا عن توازنها بين العالمين الخارجي والداخلي، وبين طموح الشاعر الشخصي وطموح المجتمع دون الفرق في فضاءات الوهم التي يجافئها أمل الشاعر رغم كل الشتات، ورغم التساؤلات التي حيرت الشاعر، ولم يجد لها جواباً

إلى مدن

تتامت في قبائلها

لكل قبيلة علم

يرقرق في مضاربيها

ويتألق التعبير الشعري بأسلوب شفيف من خلال المنولوج والبحث

عن الذات ومعايشة الواقع جسدياً ونفسياً

تشيدي مصرف

بعتابه العالي

فأين ملامة الأم التي ضيعتها؟

أين الخوابي

نشرة الأخبار

العايي

وصندوقي الصغير؟

إن العناق الحميمي بين ما هو قائم وبين ما حدث أغنى عالم
القصيدة وأضفى عليها حياء إنسانيًا متألقًا .

أما عن الصورة الشعرية فهي تمتد رأسيًا، وتتجه نحو العمق بسلاسة
وعذوية لترسخ سحرها تقصيات لدوافع إنسانية وخصوبات عامرة
بأحاسيس ملتبهة صادقة شكلت مملكتها وصاغت دلالاتها لوعة النفس
وشجى الروح وإيقاعات هادئة ورؤى دفينه في مفاصل اللغة وأجنحة
الصور البلاغية الضافية والمبتكرة:

فتاديلي

ترتل للمساء نشيدها

بأنين جوفتها

تمدّ له الدروب

فينعني بوداعة فيها

ويطبع قبلة من ظلمة حيرى

على يدها

يرن سوارها

والنور فيها سيد

يحنو على الضيف الأمير

إن ترشيح الأفعال المضارعة لكي تتغرس في جسد القصيدة أضفى
دلالات على إمكانات العطاء والطاقت المستمرة الفاعلة في مهمة العيش
والحياة: (تلملم - تعيد - أحث - تلهو - تفرش - يحنو - يرن - يطبع... إلخ).

وإن اعتماد الأسلوب الاستفهامي والتعجبي يمثل الدهشة والبحث

عن المأمول

كقوله: أهذي أنت يا أمي؟

وقوله: عرفتك من ملامتك الحرير!

وقوله: كيف العبور إلى التفاصيل الجميلة؟

ويحقق المنادى (أصيحابي) صرخة شاعر يثق بمجتمعه وشعبه، وكأنه

يقول: معاً في تجاوز المحن وتحقيق الأمانى.

أما الحوار الشعري، فهو حوار النفس للنفس، وحوار النفس للأهل والأصدقاء والحياة.. وتبقى قصيدة ملاءة الحرير للشاعر الدكتور راتب سكر نموذجاً حياً لشاعريته وشعره فهو يحرق المسافات من أجل أن يتسنى مكانة لائقة في ميادين الإبداع الشعري، ولا بد أن ترتقي هذه المكانة باستمرار كونه ينطلق من يؤر حارة، ويتعد عن حالات المعجز التي تدور في تلك المباشرة والشعاراتية وآليات التطفل التي تفيض بنور التفوق وقدرات الإبداع.

هالا محمد:

ليس للروح ذاكرة

هالا محمد صوت شعري له مذاق خاص، ونكهة متفردة وإذا كانت الشاعرة هالا قد أصدرت ديواناً شعرياً واحداً - ليس للروح ذاكرة - عن وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٩٤ فإن هذا الديوان كفيل بأن يعطي صورة جلية عن الشاعرة التي تلاحق الحلم الأخضر.. هذا الحلم الذي تجسد في الروح وترعرع في الذاكرة واستوى غرساً لكن هيهات هيهات أن يجد الغرس مناخات سعادته دون أن يأخذ حقه في كل الفصول والمواسم من أجل ذلك بقيت الروح لائبة في الحيرة والقلق تحت هجير الضياع وعذابات النفس:

وخائفة

حيث لا أثر لي

أرجوك ناولتي

بعض الأشياء المبعثرة بقريك

- فقط لأبعثرها بقريي-

إن الآتي أصعب من الحاضر.. وما مضى يدعو إلى الحيرة فكيف تكون المواجهة مع المستقبل؟ وما الذي يحمل في جعبته بعد أن غدت آلة التصوير بدل العين والقلب المعبر الوحيد لرؤية الحياة.. الحياة التي فعلت وما تزال تفعل الكثير:

«من ناهتني الصغيرة

المطلة على الدنيا

ألقيت بنظري

هدفت علي الدنيا الباب
وأعادته إلي،

لقد تمثلت الشاعرة مكابدات الإنسان وعرفت أن البسيطة مفعمة
بمن يحلمون بالحرية والحياة الكريمة.. ولهذا انطلقت لتعبر من الداخل
عن إنسانيتها، ولم لا وإنسانيتها نموذج حي للتعبير عن الذين ما زالوا
يصرون على إنسانيتهم بالرغم من كل ما يحيط بهم:

«خرست في لحظة

لأحكم المي

فخرست للأبد»

إن هذه المشاعر آنية لأنها تولد من جديد من أجل حياة أفضل
ولذلك تقف الشاعرة متحدية صلبة تخاطب الريح واليابسة والنور
والبطولة والموسيقا.. إلخ من أجل غد مزهر وحياة مطمئنة:

«أيتها الريح

متى ستهزين النخلة؟

إني حبلى

أسند رأسي

صرة مملوءة بالأحزان

يا أيتها الريح هزيها»

وإذا كانت مسحة الحزن تغلف شرهالا، إلا أن هذا الحزن يتواصل
مع شلال مطر يكسر إيقاع الألم لأن عيون البطلة تهرول باتجاه الشمس
وتسدل ألق نبضها على الحلم غير عابئة بالعراقيل والضغط التي تقال
من إنسانيتها

«قبل عشرين عامًا

قلت لي

أحب ضوء القمر

ومنذ عشرين عاماً
وأنا أسهر على النافذة
لوحدي»

أما عن الظروف فقد عانيتها مرات ومرات ولهذا تحار في الأسلوب
الذي يجعلها أقوى مما يحدث.. تستسلم تارة وتعاند تارة وتثور غاضبة
راقصة أحياناً كثيرة..

«فجأة وجدت نفسي
ظلاً لظل في الظل
كنت عارية»

إن هذه الومضة وغيرها من الومضات التي ملأت الديوان تشير إلى
تهدات الشاعرة وزفيرها المتصاعد جراء كل الصدمات المتلاحقة، لكأن
الومضة إشارة، بل لنقل دلالة على ترتيلة الحزن والألم أو تعبير عن
البوح الإنساني الذي يتمثل أكثر ما يتمثل في المواقف الصعبة وفصول
الحياة.. إن التكثيف العاطفي في البداية والصدمة التي تركز عليها في
فاتحة القصيدة لإثارة انتباه القارئ حقق الغاية في إيصال صوت
الشاعرة..

«حين خبا نجمي
وضعت مرآتي العاكسة أمامي
ورحت أبحث فيها
عن نجم شبابي»

وإذا كانت الأرض ماوى الإنسان ومكان حركته فإن السماء هي الأمل
والموقع الأبدي له... الشاعرة تكرر هذه المقولة في شعرها تعبيراً عن
اللويان وحب الخلاص وأي خلاص هذا وحبها نبت بين الصفصاف
والزيزفون!... وما يزال القلب ينزف من أجله... هل صار سراً؟.. إن
كان الأمر كذلك فهذا يعني أن الأرض غدت أبعد من القمر إنها الأرض

التي تجمع فحيح النفس مع زهر البنفسج والياسمين وورق الليمون
والأكاسيا .. إلخ، وهل من حل سوى إلغاء المسافات وتجاوزها؟

«القمر عينه التي ترنوها

النجمة وردة يلوح لها بها

في لياليه ولياليها

المطر خفق قلبه

ما أبعدها الأرضاء،

لقد اعتمدت الشاعرة في طرح أدواتها الفنية الخسية والمعنوية على
البصر والبصيرة ومزجت بينهما مزج فنانة تشكيلية لا تريد من خلالها
رسم لوحة طبيعية أو سرالية .. إلخ، إن لوحتها من نوع آخر لم يرسمها
أحد قبلها، ولا تريد لألوانها أن تعكس إلا ما خفي في سويداء القلب،
وما سرى في العروق:

«يا ميلادي المتكرر ببلادك

قف في العام القادم

ولن يتغير شيء

ربما كانت مناسبة

لجمع بضع زهرات

وتزيين الأرض بها»

ثمة هاجس تلح الشاعرة عليه أثناء الكتابة وهو هاجس يتصف
بالديمومة والاستمرار ولهذا لا تغلو قصيدة من التركيز عليه... إنه
العشق الإنساني والاعتسال بطهر القلب وتلوين المسام بخيوط قوس
قزح... ولئن كانت هذه الفكرة منسرية في غالب قصائد ديوان الشاعرة
فإن ما يجب أن يقال: إن ما تقدم أضفى الشكل المناسب لها وأعطى
مبناها صفات خاصة لها حيويتها وتأثيرها ..

فهي لا تريد أن تسهب في صياغة قصيدة تصبح ديواناً أو تكون

ملحمة أو تمتد على مساحات صفحات متعددة.. إنها الشاعرة التي تهتم
باللقطة والإضاءة من خلال صور مجازية بليغة وموشاة بخيال طافح
بالتدى والدفء.. وهذا لا يعني أن العواطف هي محور القيمة الفنية في
صياغة القصيدة إنما هاجس الفكرة أولاً ثم تنظيم العواطف التي دفعت
الفكرة إلى الظهور هو الأساس ولهذا نجدها تحول الأنا إلى نحن لأن
الألم الخاص هو جزء لا يتجزأ من الألم العام:

«أقوم بجولة

على نفقة الزمن

يتكفل فيها بتقديم

الفجر

النهار

والليل

حتى إنه أهداني طفلاً

ويطالبني لقاء ذلك

بأن أحياء

هذا وإن الموضوعية في العلاقة بين الشكل والمضمون أبرزت
الشاعرية المرهفة التي تعتمد أكثر ما تعتمد على الفطرة والتدفق مما
أتاح للفضة أن تكون مناسبة طرية هيئة ولعل الإيقاع هو الذي تحمل
انكسارات الرؤية وقلق النفس وضجرتها الذي يعصف بكل ما حولها حيناً
ويدخل في مسارات الحكمة وفلسفة الحياة حيناً آخر:

«حين صاح الزمن بي

مهلاً

توقفت طائفة

دون أدنى شك بنواياها

مربي

تجاوزني دون انتباه

فامتطيت موجة الضوء

لأعوض الزمن الذي هانتني»

ولم يكن التلاعب اللفظي والتبديل وإعادة الصياغة إلا من قبيل ولوج محراب الحداثة وتكريس فكرة ما والدوران حول بؤرة مركزية تريد الشاعرة التعبير عنها بطريقة غير مباشرة.. ففي قصيدة - بعض التجديد - تلميح عن الضياع الذي جنته الشاعرة من التجديد وشحنات قوية من فلسفة حياتية تعبر عن موقف ما:

«كنت قد اتخذت قراراً

بإجراء بعض التجديد في حياتي

لا...

بل بإجراء بعض التجديد في حياتي»

ولعل استخدام الأفعال المضارعة وتكرار الألفاظ خير دليل على الأمل الذي رغم ضياعه ما زال يبرعم في الأوردة ويؤكد ذلك الديناميكية اللفظية التي تغلبت على روتين الصمت لكنها لم تكن دائماً خطوة إلى الأمام بسبب تغلب الفكرة على الشاعرية:

«أشم/ أتالم/ أذفا/ أقلق/ أحتار/ أندھش/ أهمس/

أسترق/ أخجل/ أتأمل/ أحلم/ أضعف/ أجرؤ ولا أجرؤ..

هأموت/ أنا من ضيع في الأوهام عمره».

إن الأسلوب القصصي الذي استخدمته في ومضاتها أضفى على القصيدة جمالا ورونقاً:

«كان البرد قارساً

فخبأني

تحت جناح معطفه

وجين وصلنا

رفع طرف معطفه

فلم يجدني»

والذي لا ريب فيه هو أن الشاعرة تتميز بحس رفيف ومشاعر لها مذاق النسيم العليل وهذا ما جعل أكثر قصائد الديوان مؤثرة لكن قسماً منها فقد هذا التأثير بسبب الإغراق في النثرية:

«مد يده الصغيرة جداً

المؤلفة من خمس أصابع

فرد يده الصغيرة

بأصابعها الخمس

ممتطياً

فلامس روعي»

يبقى الديوان جديراً بالقراءة وتبقى هالا صوتاً شعرياً له حضوره..

غسان لافي طعمة

فاتحة يوسف العربي

فاتحة إنسان الحاضر والمستقبل

من البداهة القول إن مفاتيح النص الشعري لا يمتلكها إلا القلة القليلة من النقاد، والقادرين على تحليل هذا الفن - السهل الممتنع - من جوانب متعددة..

وبناء على ذلك فإن الادعاء بالوصول إلى هذه الصفات يبقى سراباً باستثناء النادر على خريطة الوطن العربي.. لأن جل ما يقدم ما هو إلا مقارنة للنص أو دغدغة لبعض مفاتيحه..

إن مقاربتني هذه تهدف الإنارة وإلقاء الضوء على تجربة الشاعر غسان لافي طعمة ومحاولة ولوج محراب نصه الشعري.

يعنون الشاعر ديوانه الشعري الصادر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق باسم «فاتحة يوسف العربي» - وهو عنوان إحدى قصائد الديوان - التي تعد ثمانى عشرة قصيدة تناقش في مجملها المهم الوطني والإنساني والقومي بأسلوب موح بالشاعرية والتوجه الواعي ففي قصيدة «من أين يبتدئ النهار» يشدد على كبرياء النفس، ويدعو إلى امتلاك القدرة على الحياة الحرة الموسومة بالعشق بعد أن زحفت مواسم الجفاف لتحتم الأمل، وتدفع النضرة:

(لا تحن رأسك

رحبة هذي الجهات

ونسفنا المشقي مرتحل

من الجنر الخصيب

كيف يحترق النيات؟

هي المواسم تستفيق من الجفاف) (ص ١٣).

.. إن غسان يهتم بحركة النص الشعري وسبل تحرره معتمداً في ذلك على مصادر متعددة (اللغة/ الخيال/ التخيل/ العاطفة/ الصدق/ الاحتراق/ الدفاء/ الواقع/ الإنسان/ الدلالة/ الحياة... إلخ) من ذلك كله ينطلق ليرسم تضاريس قصيدته وألقها وابتعائاتها.. إنه يحترق بالحرف، ويتماها بالقصيدة وفضاءاتها التي تتأسس مجبولة بمعاناته، وبشقاواته، ورؤيته التي لا تفتأ تبحث عن نور فتى، أو نافذة مشرقة يعتلي صهوة شمسها من أجل تمزيق دياجير تنفر إلى الذاكرة فتؤلم، وتبني بما سيحدث:

(من أين تكتبني القصيدة؟)

أسلمتني عورة الأيام للقل المفرغر
بالتهارات المضاء

كان حلمي بيدراً من قمع قلبي) (ص ٢٠).

وهو فضلا عن ذلك يركز على السياق، ويحكك فيه كثيراً ليخلصه - قدر الإمكان - من المرجعية، ويدفعه نحو التجدد والتميز.. صحيح أن السياق كما يقول ياكوبسون: «هو الطاقة المرجعية التي يجري القول فوقها» إلا أن هذه المرجعية تختلف من شاعر إلى آخر؛ ولهذا فإن الاهتمام بالسياق إبداع لنص جديد يمتلك لغته الخاصة.. وإذا كان الحاضر مضعماً بشظايا الألم من الضعف والتردي التي تغلف جملته الشعرية بمفازات القلق الرابض في جراحات الشقاء وحتى في مشاعر الفرح تغدو وتروح كديمة عابرة:

(من أين تكتبني القصيدة؟)

جرجرتني عورة الأيام
للزمن الهلامي الهزيل

فأنا السعير يحاول اللهب

المغلغل في القليل

من أين تكتبني القصيدة!

من رغيف لم تلامسه جراح السنبل

من قاع سجن ينفث الموت المؤجل

في ضمير المقصلة) (ص ٢١ - ٢٢).

إن قصيدته تستمد وجودها من الشعر وقوة الكلمة، وفعاليتها بحيث تتوضح صورتها الجميلة من حركية ودلالة الحرف والمفردة والجملة والفكرة.. فهي مفعمة بالحيوية، موشاة بطاقات داخلية خلاقية وهي تتبع من معاناته ووعيه لما يدور حوله، ولذلك لا يكون تضاؤله في النص الشعري مجانيًا، أو هتازيًا.. إنه الحقيقة التي لا تبرز إلا بالقول والعمل، واخضرار النفس في صباح الحياة بالرغم من اللهب المتمكن في الأرض:

(لمن تلهب الراحتين)

كفّ بقطوان شلت

وكف ببقداد طلت

(ص ٢١)

وكفّ بلبنان تلظى)

(ولا تبكي على موتي

ففي محراب صمت الليل

(ص ٤٨).

تلتي سورة الفجر)

وما دامت حنايا القصيدة ومفاصلها لا تتفتق بوادرها بالمجافاة، فإن العمل على ملامسة ثساياها، وتقري جمالاتها وصباها لا يتحقق إلا عبر مسارب الذهن الذي يفسر ويحلل ويتوغل في مفازات الوجد والوجدان.. لقد اتصف شعر غسان بمؤهلات وافية لكي يشدك إليه ويطاقات تخيلية تؤثر في مشاعرك، ويأخذ بيدك نحو الحلم الذي يتضمن فاتحة

عهد جديد بعد أن صارت الدروب بوارًا، وانتضى الضياع سواد التراجع
والألم، وغدا اللهاث وراء الشعاع متعبًا:

(إلى أين تلهث؟)

كل الدروب بوار بوار

إلى أين تلهث؟

تحمل كابوس هذي الليلي

وتزعم أن النهار نهار

تقيا ظلال القواهي

فقد أثخنوك بسيف الحصار

هو الحلم سكين هذا الزمان الرديم) (ص ٥١).

لقد أزفت ساعة الاحتمال بعرس الرجولة، وأي حفل هذا؟ وكيف
يمكن أن يكون إذا لم تجار النفس، وتلوح لكل ما يخدم الأهل والوطن
والأمة؟ وكيف يمكن أن يكون وأطفال الحجارة ما زالوا يخرقون وهج
المنون؟

(لا وقت للفرح المهجن

والعدو على شفاف القلب عسكر

لا وقت للضحك المزيف

والحلوق تعلقمت بالحنظل البشري

في زمن معكر) (ص ٧٤).

فالشاعر لا يحرق المراحل من أجل أن يصل إلى هدفه في نهاية
القصيدة بل يركز على مفاصلها، ويرسم ثباياها بريشة مبدع يعشق
الإيمان في فنون الحوار والقص والتدوير دون انزياح لفن دون آخر ودون
أن يقطع علاقته بالواقع المحرض.. إنه يعيش من أجل الحرف وينخرط
في لجة الحياة فاعلا ومنفعلا:

(ما زلت تبحث عن زمانك

خارج الزمن المعفر بالعياء
ما زلت تسرج سهوة الأحلام
كي تعدو، ويتسع الفضاء
وتهدد الغافين في أرجوحة الوطن المضئع
(في الثراء)

(ص ٩٧).

تدرج المعاني الإنسانية في جسد القصيدة، وترفض الجملة الشعرية
إلا أن تكون حديثة البنية والتكوين لتشيع تأثيراً وموقفاً وتلتحم مع الذات
الشاعرة داخلاً وخارجاً ..

وإن كان الزمن الحاضر زمن المآسي ويحتاج إلى كثير من الصبر
والتصبر فإن رسم بعض الصور المؤلمة يهدف إلى تكريس دلالات ومعان:

(هم يرقصون على الجراح ليرسعوا

من نزفها ورداً

لزفة من تاله في الجراح

هم يهزجون لقيحهم

فإذا الأهازيج البتولة

فوق عهر شفاهم

(ص ٩٨).

نغم أجاج)

إن كينونة شعر غسان تصحو فوق جماليات انطبعت في ذاكرته التي
مارست التفاعل مع الطبيعة البكر منذ ريعان صباه، ثم تتطلق لتشكل
خارطته الشعرية دون تضاريس أو إهمال للاستشراق الفاعل لديه بكل
مناحي الحياة ..

ويصدر الشاعر آهات غاضبة ليعبر عما ينتاب الوطن من ظروف

قاسية تقف في طريق انطلاقته:

(آه علينا .. كم نموت من النشيج

وكم سيبعثنا النشيج!)

آه علينا .. كم يضيعنا الظلام
وكم نضيعه الصباح!
آه علينا .. كم سنزهو كالنجوم
وكم سنطقاً كالمرج

(ص ٩٩).

والسؤال الذي يزداد تجذراً: هل يضيع المصباح؟ هل يطفأ فتيل حياة
هذه الأمة الصامدة الناهضة بفضل رجالها وشهادتها وعطاءاتها:

(ما زلت تبحث في دمي
ما زلت أبحث في دمك
وأمالك نبض تألمي
وأساي فيض تألك
فاقرأ مرثي أمينا
في ماتمي أو ماتمك
طوبى لنا
إننا مسخنا فجزنا
إننا نسجنا حلمنا

فالخير كل الخير أن نمشي على نصل الفجيرة حاملين
والخير كل الخير في الحلم الرزين)

(ص ١٠٦).

ولم يغفل الشاعر نزوعه الإنساني كلما سنجت له الفرصة للتعبير
عنه، لأن إيمانه العميق بأن المبدع قبل كل شيء لا تشوبه شائبة، ولا
يمكن أن تلوته ماديات وأحقاد العالم:

(تتقيين شفاف قلبي
مذ وعيتك توقدين النجم في مصباح كاز
كاد يخذله الفتيل
وتؤرخين النبض قافية لعمر
ليس تبدؤه الولادة

ليس ينهيه الرحيل) (ص ١٠٩).
وهو يؤكد موقفه الإنساني عندما يعايشهم في آلامهم وآمالهم:

(نكسوا راية القمر
واركزوا راية الرغيف
ليس فينا من البشر

غير صبر على التزيف) (ص ١١٥).

وباعتبار أن ذاكرة الحاضر مؤسسية فإن ربط الماضي بالحاضر له
مسوغاته للعبرة وتجاوز التواءات من وهم وزيف وخداع من أجل حياة
جد جديدة:

(أين كنتم يوم ماج النهر حبرًا ودماء
وأنا التاريخ مصلوبًا على أشجار بابل) (ص ١١٦).

(كان صبي يتامى
شعلة حمراء في صمت الدجنة
يوم جاء الفرياء
أقسمت أمي بالآلاف الأجنة

إن للفجر إشارة) (ص ١١٦).

إن التدقيق فيما سبق من شواهد يبرز مدى اهتمام الشاعر
بامتدادات الحرف وتأثير اللفظة ودلالة الجملة الشعرية، كما يبرز
اهتمامه بعنوان القصيدة للترميز والإثارة:

(فاتحة يوسف العربي - صباحات العطور - مرثية لفارس الوهم -
نسخ الحياة - شاعر ووطن وحلم - تساؤلات في الزمن الضيق)
وما أظن أنني وفيت الديوان حقه فما يحتويه يشجع لأكثر من دراسة
وأكثر من مقارنة.

obeikandi.com

نشور الأزرق

جهد واضح في بنية النص..
وإبداع في آليات نسيج القصيدة

تعد غالية خوجة من الشاعرات المجودات اللواتي استفرقتهن
الحدثة واستفرقن بها، بحيث يحس القارئ في قصيدة غالية جزءاً، بل
أجزاء من مشاعرها وتوقها وطموحاتها..

وإذا كانت الرؤى تتعانق في مسام قصيدتها، وتتمرد النفس على
الساكن والتقليدي والمتخاذل في جملتها الشعرية، فإن ذلك يزيد
القصيدة بهاء، خاصة وأنها انطلقت من بؤرة مركزية تتضمن العقل
والشعور باتجاه الأنا والتحن وباتجاه الحب، وباتجاه الوطن..

ضمن هذا التأسيس الذي فرضه الوعي العقلاني، واللاوعي المبني
على العاطفة والحس والمعاناة والمشاعر التي تتماهى الشاعرة خلفها
لإنتاج قصيدتها فلذة كبدها، ومحطة من محطات مشاعرها.

فالشاعرة غالية يسكنها حلم أخضر وطموح يسع دنياها، وهي لا
تتوقف عند الذات من أجل الذات، وإنما تفعل ذلك لترتكز على شاهد
عيان يكون مثالا من أجل الـ نحن.. المجتمع الذي هي منه:

غطى الصخور بنظرة

وأضاء خضرتها لنا..

هل ما تبرعم في الشظايا

يجتلي

سر انتحارات البنفسج

في الدخان

(ص ١٢).

إن انطلاق الشاعرة من الواقع المعاش يدفع إلى الالتصاق بالمكان
والتمحور في دائرة الزمان، ولئن كانت فصول الواقع متغيرة؛ فإن
شاعرية غالبية تبدأ من دفء المكان وربيع الزمان.. وهذا التوجه جعل
صدق القصيدة مقنناً وفتح المجال لفوزها بالحياة:

ذات فضاء

عادت ذاكرة

حاكمها الشهداء

كانت كالأرض تدور

وكان هواء

يجبر ما فيها

أن ينكسر على العتمة

كأنت أمواج

تحرق ما فيها

من ريش لتطير

وكنت.. أنا

أتجول في الديجور

ونوري

(ص ١٦).

ويعلو الموقف الوطني، ويتجذر الموقف القومي فيبدو انحياز الشاعرة
نحو الفداء والمواجهة والدعوة إلى الانتصار والحلم بحياة مليئة بالاعتزاز
هدفاً أعلى في منظور قصيدة وإبداع الشاعرة:

كم يرى

في مفازاته الانفجار الذي ينبت الموت،

أسطورة للحجر

كم يرى دمه

في ظلام الوطن

رقصة الحب

للصائمات

التي تقتصر

(ص ١٩)

إن الشاعرة لا تبني حلمها على الرمال ولا تقطف الاخضرار من اليباس، لأن كنوز وتاريخ هذه الأمة مضمع بالشواهد والأمثلة على النهوض من كبوات البؤس والشقاء والتراجع وفوق هذا وذاك، فهي تؤمن بأن فسحة الحياة واسعة وأن الخطوات الجميلة آتية لا مناص:

مذ ترامت عذارى النجوم له

ورأى ظله، طالماً من كتاب الغناء

تعبت النار، بالمسك من حوله

يعبت العنقوان بإدهاشه

هل رمى

فيذك الروح خلف القصيدة؟

أم أنه، كان وهجاً

غزيراً لجذر السماء؟

(ص ٢٢)

وإذا كان لا بد من موقف؛ فإن الجهر بعداء من أذلوا أنفسهم، واستمروا الاستسلام، أو خضعوا أمام الذود عن حياض الوطن يقدو عند غالية ضرورة لازية وموقفاً لا نكوص فيه:

قل .. لمن،

لا الشهادة،

لا عودة الأرض،

ينتظرون بأنا منمعو من التيه،

عاهاته في الجهات

وأن تغير الكفن وحده حبرٌ من يكتبون على

قبة الروح

عاش الوطن

(ص ٢٥)

وهي لا تتي تؤكد على الوفاء والصدق، وتكره المكيافيلية بحثاً عن انطلاقة تعتمد القوة نقطة ارتكاز مثلى، وترتبط بين الماضي والحاضر من أجل المستقبل، وهذا لا يتأتى إلا من خلال وعي اللحظة والتدرج بالإيمان الكلي بالموقف:

لهمومي.. ملحمة

هل أتكنى الآن عليها

أنت منحت الحرب الماء

وأنت فتحت الحرب على قتلاها

من قال بأني

ألققت زهورك نسغ الموت (ص ٤٢)

وليست العواصف إلا غيماً زائلاً فالرياح أوغلت بالقوة، وتمادت بالغى والظلام فهي راحلة، ولا بد أن يتحرر اللون، ويُغذَّ السير باتجاه الحلم:

إني ما بين شواظ الماء

وبين صرير النار

أخر لوني

(ص ٤٩)

برقاء غيابي

ولقد اعتنقت الشاعرة فلسفة الحب؛ لأن الحب بدء الحياة ونهايتها.. إنه قوة العمل والفعل والتأثير، ولهذا فإن الربيع ينتظر الحب؛ ليثمر، والجرح الناغر يهفو للحب؛ ليبرأ:

يباشر نبع الحياة زغاريدَه في قوامي

أحبك

(ص ٥١)

لا تلتسع الدم من بوحه المتأخر

السنابل الوضاعة تتكاثر عليها النبال، وتسعى العواصف إلى النيل من

قامتها.. لكن هيهات! هيهات! ذلك لأن الجذور تتربص بمن يريد النيل منها:

يرقص الموت طويلاً

جملة العطر تفني

غرية الخيل تفني

وتجوب الروح

أصقاع اشتعالي

(ص ٦٢)

وتغدو معرفة استراتيجيّة فكرة الشاعرة أمراً بدهياً عندما تهب الشاعرة اسمها للشعر وأن تكون مزنة الخير من أجل خضرة الحياة، وأن تبحث عن اللون، وأن.. وأن:

أنا مزنة الرمز

برقي تذيير

ولليعلمان سلاف

يذيع انتشاري

نبات نشيدي يؤرّجُ بعد الجنون

ويتلو بيان معاري

(ص ٦٥)

ويضفي موقفها من الرجل الشجاع الحلم، الذي يطرز حياته بالحرية، ويزركش رؤاه بالصدق والطهر.. ملامح من ذاتها وسمات دامغة من توجهاتها:

وكان نبياً جوالاً

بالفتنة والشبهات الأولى للفجر

وحرّاً كالإشراق

جميلاً كالفرديوس

حزبياً كالصدق

(ص ٨٠-٨١)

ولئن امتدت القرية إلى عرين الشاعرة؛ فإنها لن تطول.. إنها غرية

النفس مع النفس بلورتها الأزمات وعمقتها المفازات، وليس وراء الأزمة سوى انفراج وشروق ، وليس خلف المفازات سوى الربيع الندي.. إنها الثقة بالأمة والافتتاع بالنهوض ونشور الأزرق:

برحيق قصيدته كان يعانقني

يتخطى ما أزلزل في أغمضنا

هل كان الأغرق

في جرح النار

وهي غريبتنا

(ص ٨٨)

إن مجموعة نشور الأزرق تلهب النفس بمشاعر التأييد للمشروعات العربية النهضوية، وتدي الوجدان بنبض الكلمة الحي.. ولقد قدمت كلمة الأزرق في المجموعة دلالات لها أثرها في اللاوعي بدءاً من العنوان إلى قول الشاعرة «اجترح أزرقى» (ص ٢٠)، أو قولها:

«هو الأزرق البكر» (ص ٢٥)، أو قولها: «أحلف إن الجسد الأزرق»

(ص ٢٨)، أو قولها: (يتصالب الأزرق)، أو قولها: «أبعث الأزرق» (ص ٧٤)، أو

قولها: «رعيشة الحرية الزرقاء» (ص ٩٤)... فالأزرق هو الحلم والأمل

والأنثى والرجل.. هو التناؤل والاستقرار والفرح... إلخ.

ولعل اهتمام الشاعرة غالية خوجة بالإيقاع واللغة الاشتقاقية،

والصورة الضافية الجديدة، وتراسل الحواس.. كل ذلك ساهم في

تجديد القصيدة وعَبَدَ الاتجاه للاقتناع والتأكيد بقدره الشاعرة على

العطاء

شهوة للمخاض المغاير كان

وأنشودة.. لجنوح الشجر

كلما.. معني أخضري واختفى

(ص ٢٨)

فاض بي.. رعد و انتشر

ومن اللغة الاشتقاقية:

كم جمعتُ الشمس

وجامدت قصيدتها

في الحلم

وغير ذلك كثير كثير

ومن تراسل الحواس:

تطرز حقلًا للمعنى

وتهوجس مشكاتي

(ص ٤١)

كانت لغة الجثث تسير إلى قاتلها

(ص ٤٠)

أخيرًا: إن آليات إبداع غالية خوجة تقابل وتوازي آليات التلقي نظرًا لحرصها على التواصل من خلال الجملة الشعرية ودفء الكلمة وصدق التوجه وعمق الفكرة.. كل ذلك - باعتقادي - يتيح فرصة كبيرة للقارئ كي يتفاعل مع هذا الشعر الذي تستقطبه معاناة عميقة وتستفزه استراتيجيات فكرية يؤمن بها الإنسان العربي الذي يسعى نحو النهوض والتقدم في إطار مشروع نهضوي يشمل كل الاتجاهات والتوجهات وفي جميع المجالات.

لقد ركزت غالية خوجة على بنية النص واشتغلت عليها من منظور الوعي والإبداع معًا من خلال طرائق مخصوصة تلتصق بالشاعرة نفسها واستجلاء بؤر مركزية تهتم القارئ العربي وخيال مجنح يفكك جماليات المكان ويربط ذلك بالزمان الآني والمستقبلي.

جعفر الجمري

إلى أي الأفاق تمتد جغرافية الفردوس؟
جعفر الجمري يمد الجسور نحو عالم
يتناهى من خلال الأوصاف والصور

الدخول إلى عالم الشعر عند جعفر الجمري سهل ممتع ذلك أنه يحاول أن يمد لك يد العون، وعندما يتمكن منك ويتأكد من وصولك إلى عالمه يدهشك ويثير في وجدانك مشاعر منيرة ويفتح مغاليق قلبك وعقلك عندما يقلك على سفينة شعره لتلج الحياة بقضها وقضيضها فإذا أنت في عالمه الذاتي ترى بعينه كل الذي يحسه وتحسه فتتوحد الأحاسيس دون استغراق لأن الملاح الذي يجوب السهوب والوديان يزرع شتلة قرنفل هنا، ويحرق شوكة هناك غير آبه بالتزييف الذي يبرق أو الشهد الذي سحب منه كل غذاء وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الارتباط والتواصل بين الشاعر والمتلقي.

ومراكبي انشطرت إلى نصفين هي وادي الجحيم

غريبة عادات من رحلوا إلى فردوسهم

كي تأتي البلاد إلى أجمل صورها

(ص ١٠)

يغبثني سواي

والشاعر يدرك أن الطريق مضمع بالشوك وأن وجهه قد ضاع في الزحام لكن ذلك لا يمنعه من إعادة الكرة، والبدء من جديد لصياغة حياة يلفها نور العشق وشمس المحبة بالرغم من كل المعاناة الذاتية، وكل ما شاهد ورأى وهو يرهص عن طريق استخدامه فعل الأمر وبعض

الألفاظ الموحية لإقناع القارئ بالثبات والمواجهة لكن ذلك لا ينسحب على كامل القصيدة ليشكل ميسماً، وإنما يرتبط بتوترات النفس.

ترحل دونما أرض تقيك من السقوط

فقمة الأشياء أولها انهيار

(ص ١١)

فعدت من حيث ابتدأت

لقد تجلى خطابه الشعري مضمماً بصدق التوجه ساعياً إلى صياغة التلاحم المنشود بينه وبين المستقبل (بكسر الباء) كما أن اعتماد الشاعر على المشهدية الشعرية وإصراره على تراكبية الصورة يجعلك - من خلال إحساس مليح - مشدوداً إلى فهم ما يريد والإحاطة بكل خيوط الربط التي تشكل في النهاية وحدة فكرية تغفو على جسد القصيدة يتحقق هذا دون أن يحلق في خيال مثالي أشيب بل يقودك إلى حيث أنت وهو أول الشاهدين على الفجيرة التي وسمت كل فضاءات روحه بالواقع:

من الذي ابتدأ الخروج على مجال

الوعي

فاكهة الجعيم أم الجعيم

أم القصيدة هي مخيمها

أم النعي الذي شهد الفجيرة

(ص ١٢)

أم فضاءات الموت

ثمة رغبة جامحة في أن يللم الشاعر أشلاءه ليمخر عياب النيم تاركاً في أرض ميلاده كل عذاباته، ولكن هيهات أن ينسى الشاعر الوطن. وكيف ينسى وقد رضع حليبه، وعشق في فلواته، ونمت نخلة حبه فيه، فهو دائم الاكتشاف لمساماته، ولن يضعف أمام من لعقوا دمه الدافئ، أو يسمح لأي متسول تدنيس أرضه:

الشاعر يعتمد على الرموز والإشارات لتشكل غلالات شفيفة لا تحجب صدق توجهه ولا تجربته ومعاناته، وقد ارتبطت هذه الرموز

بخصوصية همه الذاتي في بداية القصيدة ثم أخذت الشكل المعمم دون أن يؤثر ذلك على اللحظة الشعرية والنبوءة الفنية التي يتمسك بها الشاعر بإدراك واع لاحتراقاته والأمل المرسوم على مراسم حياته، وهو لم يكن على هامش المعاناة بل كان فاعلا ومنفعلا فيها ولم يتوقع في دائرة صغيرة من أرض وطنه، بل كانت عيونه تشرئب لكي تعيش أقصى حبة رمل توضع فيه وحتى يبقى دائم الحيوية والعطاء.. من أجل ذلك جدد دمه ليواجه دون يأس فن الكر والفر أو الانكفاء على الذات.

مورق ظلي إذا بيست بساتين

السفرجل

والملوحة لا تذيع بيانها في حضرة

الأطلال

محاصر في السر يا لفتي

فعلى في المدى أمتد

تتمسك البراة في دمي

(ص ١٥)

ويحاول الشاعر الجمري التواري خلف الأوصاف والصور لينشر من خلالهما ما يريد هتبدو ظلال المشهد واسعة يمكن أن تعطي تفسيرات متنوعة ومتعددة لكنها تصب في النهاية في بؤرة مركزية يقصدها الشاعر.. إن في صحراء نفسه عيون فجر وليد، وفي بياس روحه أغنية صدى الأمل، فهل تتحول الغيوم إلى أمطار؟ وتغيب أسواق الانهيار فيعيش رؤاه ويسارع في نسيان أمته الذي يمنحه المدى:

جحيما كسر الهواء

وعننا أسرى انهيار الصحو

لا القردوس يمنحنا المدى

ظني بأنك هجرة في الانفلاق

وخيمة هي ما تبقى من وطن

(ص ١٦)

في كل مقطع من القصيدة يفجؤك الشاعر بموقفه، ويمسك بيدك لتلمس عروق الوطن.. آلامه وآماله ضمن مناخ شعري يمتلك طاقة التأثير التي يسيطر عليها ألق لون بلون الحب، والبحث اللائب عن صورة الوطن الباسم بعد معاناته القاسية فهو يرفض أن ينكفئ على ذاته، ويحجم رؤاه ليعيش فردوساً مزيفاً وبذلك يأمن شر من خدشوا وجه المجرة وارتدوا إلى الأرض يختنون براعمها قبل أن تلد ويسعى إلى جديلة نور تكون نبزاساً له في انطلاسته.

ولم تكن منطلقات الشاعر مجردة أو مغلقة بل حملت دلالاتها الرحبة لتكون معرضة من أجل تمجير قدرات التخيل في النص فتكاتف الألوان في اللوحة لتقرئ القارئ مفازاتها فتهاجر نفسه في سهوب الحنين ونسوغ الأرق وحركة النفس واختلاجات الروح ... إلخ.

من كل ما ذكره وغيره تتوحد الرؤية النفسية والحسية، ومن هذا التوحد تكون الانطلاقة نحو الهدف الأعلى (الأمة - الوطن - الأم - الحلم - الأمل - الحب - الصدق - الإخلاص):

دعني أسمي البحر نخلا

دعني أسمي النخل ظلا

دعني أسمي الظل خيمتا الوحيدة

دعني أرفع من مداي سفينتي (ص18).

ويأتي استخدام أسلوب الاستفهام ليكرس إشارات تتوضع على مواجه النفس لتكون صدى الطموح وتكريساً لمطالب ذرتها الريح - منذ زمن - في كل المناحي والاتجاهات هذا الطموح ليس مجانيًا، وليس مترفاً لأنه نابع من الأنا الصادقة التي تلهث للاندماج بهموم الـ (نحن)... وإذا لم يكن فلن تكون حياته إلا رماداً ولن يكون مستقبله إلا جحيماً.

من لي إذا هطل الظلام

من لي إذا نامت بنفصجة البشارة

لا تضيه سوى الفجاءة

لا يضيه سوى الهزيع المر

(ص ١٩)

خيمنتا قلاوة

لا بد من البحث عن منقذ يقيه يأسه بعد أن صار غناؤه سرًا،
وجحيم مأساته ينمي عليه تنفسه الرتيب فيعض على نواجذه لكي
يتخلص من سباته، ويستيقظ ليرى غير لون البحر، وتحليق النوارس
الضائعة والبجع الخرافي فينظر في مرآة نفسه مرة أخرى طالما وعى
ذاته ليصل إلى الحقيقة المرة:

وأدق مسمار الخليقة في جدار

الكائنات

تصببت عرفها رؤاي

هنا اكتشفت من المرايا

(ص ٢١)

مهرة غجرية

بعد هذا الاكتشاف ينطلق على صهوة حصانه مؤمناً بقدرته على
تحقيق ما يريد فقد آن أن يشتعل بوطنه فيضيه، وأن يعزق سر
الخطيئة واللامبالاة التي تدلت فقزمت العروق، وتخششت في القلوب.

متى تضيه لكي أرى فيك

الذي حجب العدو من القضاء ووجه

(ص ٢٢)

أمي؟

لقد سد العدو سهامه الحارقة نحو الوطن - الأمة فضرح البراءة
بالدم ولم يعد أمامه سبيل إلا أن يستنصر شجر السنديان، وعروق
النعناع، وكل خيول الأصالة للوقوف في وجه من حاصروه، لأن سر البحر
لا يعرف مفاتيحه إلا أبناؤه، ولأن طعم الحنين لا يلتذ به إلا من تغرب
عن أرض ميلاده..

في شعر الجمري ترسيخ لوعي معين تشدك إليه اللفظة بإيقاعاتها المتناغمة وتلونها ويقنعك المعنى بحقيقته عبر الحسي والمعنوي، والتداخل بين ذات الشاعر والذات الإنسانية فيستلهم المتلقي لحظة الإبداع على مساحة النفس لقد أكد الشاعر أن لا مناص من اتخاذ موقف حازم تجاه من لوثوا سماءه وبحره لأن الارتباط بحب وطنه أبدي وما دام المرء لا يستطيع الخروج من جلده فهو - أيضاً - غير قادر على التراجع.. وهذا ما يدفعه إلى مزيد من الحب.

هيا امنحيني قبلة

أو شئت فالقيني من الأعماق

لست مشاغباً أبداً كما قالت

رواية ذلك الأمي

لست مهاجراً مني

ابتدأت من الشفاه

(ص ٣٣)

إن تكرار الظروف له مهمته الوظيفية في تحقيق أجواء الحالة الشعورية ووضعها في زمانها اللائق الذي يختزل مسافات ووعي الموقف بدقة.. أن أن تبليج السماء عن قوس قزح يلون حياته رؤى وشلال عبير ليعيد سيرة حياته الرحبة على مداها الرحب، ويرتق مآسي الأمس بعد أن خضب العدو عروقها بالسموم.

والآن يتضح المدى

قمرًا تخضب بالأسى

حيناً ويفمره الندى

حيناً ويرتشف ما يشاء من

الرصاص..

(ص ٣٤)

من أجل أن يهب الخلاص

وتتكشف في المقطع الأخير من القصيدة حزمة من الانفعالات

وتتعانق لتتركز في بؤرة الهدف، وجوهر المغزى من خلال تدفق سريع
يواري خلفه انبعاثات انفعالية تحرك الفكر والمشاعر معاً فمواسم النواح
يجهلها، وفراديس الزيف يبهت شكلها، وسيبقى عنيداً في موقفه لا يبغي
سوى الحب الذي يمنحه البرد، ودورة البدء لانطلاقة جديدة، ودخول
جديد في نبض الوطن الحبيب.

لقد حملت القصيدة على عاتقها عواطف الشاعر وانفعالاته
المتأججة التي أثرت - أحياناً - على إيقاعات بعض المقاطع جوانباً
ويرانياً.. هذا وثمة وضوح لشخصية الجمري لا يستطيع القارئ إلا أن
يلمسه في كل مقاطع القصيدة، وهذا يدل على امتلاك أدواته الشعرية،
ويدعوك إلى الإيغال في أجواء القصيدة.. ومعايشتها بإحساس القناعة
والإعجاب..

obeikandi.com

لتتخذ موقفاً من السكون والمساء، وتستعين بأختها لتؤكد موقفيها من الحياة وميلها إلى حب الناس واعتماد دروب السعادة اتجاهها طالما أن النور أضاء القلب والأوراد:

على ظمأ وردنا الصبر حتى ليقيظنا على الصبر البلاء
فإن شئت الردى للروح يوماً أيينا أن نصير لما تشاء
وهل يضيؤ سنا قلب ندي له من كل بارقة ضياء

وفي قصيدة (جرح في فؤادي) بوح صادق تعبر فيه عن حب كبير للوطن، وتمزج بين الذاتي والعام بأسلوب فني مانع:

كنت النصير لطفلة موهوبة بخطاك ترقى
شجعتها وجهتها فتطلعت للمجد توقا

وتتوجه إلى الأدب الاجتماعي من خلال قصيدة (ذابلة المآقي) لتبين ضرورة البعد عن (الأنا) وأهمية التسامح والحب والوفاء في كسب الصديقات:

البنى هل بقي في العين باقي علام تسع غاليتي المآقي
أخطب قد ألم ولست أدري أهم لا يكف عن اللحاق
فإن كانت دواء قد توالى على دنياك تقبل هي استباق

وتحلق الشاعرة في قصيدة (أمي) فيظهر البوح بألوان قوس قزح ويزركش الصديق جدائل الحب الذي وصل إلى درجة قدسية رفيعة:

أمي سيدتي غاليتي ما أروع ترنيم نداءك
يا بسمة فجر أرقبها هي عمر يزهر بشذاك
يا سدرة حلج أعشقتها إنني غريد أهواك

وفي قصيدة (جلفار عشق الخليج) تمزج بين أملها الخاص وأمل جلفار.. فإذا جلفار امرأة عابقة بالحيوية والجمال والعتاء، وإذا الشاعرة تسفح في محراب عشقتها أنواعاً لا تعد ولا تحصى من التضحيات، ولم لا وهي موئل الذكريات؟ وأرض الأجداد الذين رسموا

تاريخها يعرفهم المتفصد من جباههم صباح مساء:

جلفارُ يا عشقَ الخليج
تضوُّعي بالحبِّ إن الحبُّ قوتي
وقوتُ أشعاري الأريج

وتختار المعلم في قصيدة (بقايا أمنيات) ليرشدها إلى حل مناسب بعد أن قلب لها الدهر ظهر المجن، وأوصدت الأبواب في وجهها، وتبعثر الضباب في عروقها، ولهذا لا بد من الإمساك بأهداب الحلم: لأن المجد ينتظر متراقصًا على أهداب الشباب:

هي أمنياتٌ في الفؤادِ يحفظها أملُ الشبابِ
تزهو إذا برقَ المنى.. تخبئ إذا جثمَ اكتئابُ
للهِ تلك الأمنياتُ وقد غدتْ أختَ العنرابِ

من النماذج السابقة نلاحظ أن الشاعرة تمتلك طاقات مخزونة جعلت شعرها ينطلق بانسيابية واضحة دون تكلف أو ابتذال، فهي تحترم طقوس كتابة الشعر، وتحرص أشد الحرص على تجويد قصيدتها فتتهض بالتفاصيل المهمة وتهمل الحشو تاركة للقارئ تصور ما يجب أن يتصوره، كما تركز الشاعرة على زاوية الرؤية حتى لا تقع في التناقض، أو يتعرض معنى قصيدتها للارتجاج، لأنها واثقة من ضرورة التحليق لاقتناص البؤر المركزية التي تشكل ما يسمى بسحر القصيدة من ذلك اعتماد الحوار الشعري وتلوين الجمل (خبرية وإنشائية) وخلق شخصية للحوار، وانتقاء الألفاظ الملائمة، واحترام القارئ... إلخ ولا ريب بأن الإشارات الثقافية التي تناثرت في جسد بعض القصائد رفعت من مستوى الشعر ودفعته إلى الارتقاء. هذا وإن امتلاكها لناصية الشعر عمق فنيات الإبداع لديها ومنحها طاقة فاعلة وخيالا خصبًا ضافيًا مجنحًا.

والذي يؤكد ذلك إيمان الشاعرة رهب المبارك بأن القصيدة الجيدة

تفرض نفسها ولا علاقة بالشكل في الإقناع؛ لأنه لا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون.. هذا الإيمان بدا من خلال تنوع القصائد في المجموعة فجاءت على أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي تارة وعلى أسلوب شعر التفعيلة تارة أخرى.

والشاعرة لا تجر أوراقها باتجاه الريح؛ لأنها واثقة من المستقبل فهي في حالة تأهب وانتظار، وهي تصر على البقاء في فسحات الطهر والنقاء، وهذا ما دعاها إلى ربط قصائد المجموعة بهاجس مصيري ينفر في أواردها، فهناك رابط ما بين حب الأم وحب العلم، والمعلم وحب الوطن، وكره الوداع والرحيل ... إلخ..

إنها علاقة تستند إلى معطيات راسخة، ورابطة آمنت بها الشاعرة، وسعت إلى تسريبها في ثنايا شعرها، لا لتركمها دون توظيف، وإنما لترسخ قيمتها بالبرهان والمعنى.

ولئن كانت تجربة الشاعرة قد تفجرت أكامها من خلال الأمل والألم والوفاء، فإن هذه الأقسام الثلاثة تحكم موضوعات القصائد كلها.. إنه احتفال إنساني صادق عكس إحساس الشاعرة المرهف تجاه كنه الحياة وأسرار الكون وبواعث القضاء والقدر، ولهذا تعمل في قصيدتها على فتح بؤر للسؤال العريض (لماذا؟ وكيف؟) لكنها سرعان ما تسور هذه البؤر بيقين قائم أو أمل واعد ورضى بما قسم لها..

وهي لا تعاین ثأليل الحياة من منظور التباكي والكدر، ولكن من منظور الوثائق بزوالها وانهزامها أمام دروب النور التي تخترق الظلمة دائماً.

إن القارئ لديوان الشاعرة رهب المبارك (إطلالة) يشعر بأن لكل قراءة طعمًا جديدًا بسبب الاكتشافات المتكررة في المعاني والدلالات، ولعل عاطفة الشاعرة الصادقة أضفت عنصر التشويق والإثارة، فهي أشبه بنوأس يصر على ديناميكية الحركة في اتجاهات شتى دعمًا

لالتقاط أسئلة الحياة واحتفاء بهذا الجنس الأدبي الأسر وانتصاراً للإبداع.

ابني.. نعم ابني الذي علّمته القدس أرضك يا بني وأرضيه القدس أمك واجباً بك برّها إن شئت أن يرضى عليك فؤاديه المسجد الأقصى يراقبُ في غدٍ أحلامك القصوى لقمع أعاديه في هذه المجموعة خيال مبتكر وفصاحة وجزالة واضحة، وأفكار شامخة.. وفيها تأمل في المصير الإنساني وتجربة عميقة في الحياة، واسترسال في تلافيف الروح اللاتبة، وصدق في التوجه، ودفع في التعبير، وإذا كان لنا طلب من الشاعرة، فهو دعوتها إلى مزيد من العمق والإيغال في مشكلات الحياة المعاصرة والتعبير عنها:

إني يبعثرني الفراق حقيقة سَجَّيْتَهَا بدثائر الكمان
يا ليت لي نفساً بدون مشاعر يا ليثتي صخرٌ بلا وجدانٍ
أقول: إن بعض الشعراء يصدرُون مجموعات عدة دون أن يحققوا
درجة مهمة بين الشعراء المبدعين والشاعرة رَهف المبارك ومن خلال
مجموعتها الأولى (إطلالة) ستجد - في رأبي - مكانتها بين شعراء
وشاعرات الإمارات، ولهذا فإنني أدعوها إلى مزيد من التجويد لتحقيق
أمنياتها في التميز وإن غداً لناظره قريب.

من شعر أمين الجندي

بين أيدينا كتاب بعنوان «من شعر أمين الجندي» صدر عن وزارة الثقافة بدمشق، وقد اختار التصوص وقدم لها بدراسة مستفيضة الباحث والكاتب المسرحي عبدالفتاح رواس قلعة جي.. يقع الكتاب في أربع مائة وأربع وخمسين صفحة من القطع المتوسط.. ينقسم الكتاب إلى قسمين : الأول خصصه المؤلف للدراسة والثاني لشعر الجندي.

- القسم الأول «الدراسة»:

يبدأ الدارس الحديث عن مناخات العمل الأدبي مفتتحاً بالمناخ الثقافي في أواخر القرن الثامن عشر وما حمله من نور وحياء دافئة بسبب ظهور المطابع ونشاط حركة الاستشراق ولعان أسماء أدباء أمثال: الشاعر أحمد البيروني والشاعر الشيخ عمر اليافي، والشاعر عبدالله الحلبي.. وغير هؤلاء كثير... في هذا المناخ عاش الشاعر أمين الجندي في واسطة عقد محافظات سورية حمص... ونظراً لأن هذه المدينة كانت عامرة بالأدب والفن - في تلك الأيام - فقد ظهرت كتابات وأشعار الجندي... ويؤكد الدارس بأن مصر عرفت شعر أمين الجندي حين زارها مرافقاً إبراهيم باشا. وقد حقق شعره انتشاراً أوسع حين حمل أبو خليل القباني موشحاته إليها وغنتها فرقتة.

ثم ينتقل عبدالفتاح قلعة جي إلى المناخ السياسي فيقدم صورة دقيقة عن الجو السياسي المشحون بالتوتر آنذاك بسبب الحركات الاستقلالية والغزو الخارجي، ويظهر العلاقة بين السياسة والأدب من خلال مواقف الجندي الذي تفاعل مع الأحداث فحين أحكم إبراهيم باشا سيطرته على الشام وجنوبي آسيا الصغرى يفرح الشاعر وينظم قصيدة يقول فيها:

نحن الأسود الكاسرة
نحن السيوف الباترة
من أرض مصر القاهرة
سرنا وقد نلنا المنى

وفي المناخ الاجتماعي يتحدث الباحث قلعة جي عن الكتابيب التي كانت تعلم القرآن الكريم والمدارس التي فتحت في عهد إبراهيم باشا، ويربط التعليم بالخاصة ويشير إلى انعدام الحالة الصحية وانعدام الأمن، واندلاع الفتن والثورات، والفقر المدقع الذي كان سائداً بسبب تردي الحالة الاقتصادية، ويخلص إلى تأثير هذه المناخات في شعر الجندي. لأن شعره الديني تصوير للحياة الدينية، والسياسي المديحي إشارات إلى أحداث سياسية، والغزلي انعكاس للأذواق والقيم الجمالية لدى الناس، والفنائي تصوير للحياة الاجتماعية.. ثم ينتقل إلى حياة الشاعر الجندي فيتحدث عن أسرته وعراقتهما ويبرز صلاتها بباقي الأسر ويفصل اسمه ونسبه وولادته في حمص عام ١١٨٠ هجرية ١٧٦٦ ميلادية وتعليمه على يد الشاعر عمر الياقي الذي استضافه في مسجد الصحابي خالد بن الوليد وفيه أعطاه العهد وقال له: «أذهب فأنت أشعر أهل الفرام».

عمت شهرة الجندي الشام، وأصبحت أشعاره على كل لسان وتتشدد قدوده وموشحاته في السهرات الفنية.. وعندما يصاب بالفالج يكتب قصيدة توسلية مطلعها:

توسلت بالمختار أرجى الوسائل
نبي لمثي خير كاف وكافل

لقد اصطحب إبراهيم باشا الشاعر أمين الجندي إلى مصر لمقابلة والده محمد علي وفي مصر يقول إبراهيم لوالده: «لقد أتيت لك بأعز هدية من البلاد الشامية، وليس غريباً ما قاله إبراهيم لوالده وموشحات

الجندي غزت الأفاق:

هيمتي تيمنتي
عن سواها أشغلتني

لكن المنية التي اخترقت جسده عام ١٨٤٠ - ١٨٤١م جعلت أهل الأدب والفن يرثونه بقصائد تعتبر من عيون الشعر العربي في الرثاء. يقول الشاعر زكريا الملوحي في رثائه:

عيون الدهر تهطل كالسحاب

لفقد العارف الحبر المهاب

على الشعراء أمين كان شمساً

فكيف الشمس تغرب في التراب

لقد أجمع المؤرخون على شاعريته في القرن الثامن عشر واستمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر وديوانه الشعري الذي صدر عام ١٨٧٠م وعام ١٨٨١م وعام ١٩٠٢ خير دليل على غزارة إنتاجه وقيمه: «ولكننا عندما نقرأ ديوان شاعر شامي مخضرم أقدم من البارودي هو أمين الجندي... الذي يتميز أسلوبه بالرفقة والطلاوة والعذوبة».

ويشير إلى أنه ليس من العدل محاكمة شعر الجندي بقيم الشعر والنقد المعاصرة إذ لا بد أن يضع الناقد الأدبي أقدامه في وسط البيئة وقلب العصر الذي ينتسب إليه النتاج ويعيش مناخاته.

ثم ينتقل إلى الحديث عن العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته الفريدة والتي تتلخص بالعامل الثقافي والبيئي والسياسي والاجتماعي ويتوقف طويلاً عند شعره السياسي ويبرز موقفه من الفتن والفساد والظلم والاستعمار كما يقسم شعره الديني إلى ثلاثة أقسام:

١ - شعر التوسل.

٢ - شعر التقرب.

٣ - شعر التصوف.

أما عن شعره الوجداني فيتوقف عند شعر الألم الذي لا يخرج عن القيم والبنى التقليدية للقصيدة الرثائية... يقول في رثاء محمد الأزهرى الكيلاني:

فيا بحر فضل كيف وارثك حفرة

وجدواك عم الخافقين ركامها

وفي شعر الغزل ثلاثة جوانب: الرمزي الصوفي والحسي المثلي، والحسي بالمرأة:

إذا أنت لم تعشق حبيباً ولم تذق

حلاوة وصل أو مرارة هجران

فما أنت إلا صورة لم يكن بها

إذا اختبرت معنى ولمست بإنسان

ثم يتحدث عن شعره في التخميس والتشطير، ويفرد باباً خاصاً لشعر الموشحات والقدود، والمواليا، ويقف وقفة متأنية عند نشأة الشعر الغنائية.

« وماذا عن لغتك الشعرية والمبنى والمعنى على ضوء ما تبذع؟
« اللغة هي أساس بناء القصيدة الفني والمعنوي إن اللغة هي الشعر ليست وظيفة أو أداة للتعبير ومن يفهم اللغة كذلك إنما يسيء إلى اللغة أيما إساءة... اللغة في الشعر تكفل لنا العبور من الخواء إلى الملاء... وربما كانت اللغة أزخم حضوراً في الشعر بنظامها ودلالاتها وإيقاعها، ولذلك يتعذر علينا أن نفسر كونية الشعر وعلو مقامه على الفنون جملة بغير مقولة:

اللغة دون الانطلاق من أمسية الصوت واتخاذها ينبوعاً بؤروباً للعقل.

« أي الأسماء الشعرية تحضرك الآن ولم؟

« نزار قباني لأنني أتمم بأشعاره دون قصد، وكأنها هادمة من منطقة اللاشعور واللاوعي وكأنه صوتنا الداخلي المنغم شعراً

سرقوا أصابعنا وعطر حروفنا

فبأي شيء يكتب الكتاب؟

أنا يا صديقة متعب بعروبتى

فهل العروية لعنة وعقاب؟!

عبدالباسط الصوفي لأننى أشفق لحاله وأحبه ليس لمأساة انتحاره،

ولكن لأنه صدقها وردد معها:

كلا وأجفل صوتها الرعديد فى الشفتين كلا

من أنت؟

هذا الشارد الهيمان يطوي العمر ظلا

كلا وأعماقى تصيح كصوتها الرعديد كلا

ممدوح السكاف شقيق رحلة الروح، لأنه شاعر حياتى.. فنان يرسم

بالكلمات:

أنا الثلج أضحى لهيباً فتياً

على صهوتيك وأضحى جحيم

حنانك

رفقاً بحزنى

أكاد أحشر من فرحتى بالنعيم

محمد وليد المصري شقيق الصبا والشباب ورحلة الوجود يتفجر

الشعر من روحه فتحس فيه نكهة الريف التى أحبها ونبوءة الإنسان

المسكون بالوطن.

* نقاد الشعر الحديث قلة .. هل تدير ظهرك للنقد أم ماذا؟

* أقرأ النقد الشعري الجاد الواعى.. وأذكر فى هذا المنحى الناقدين

حنا عبود ودريد يحيى الخواجة.